ولكنك لي

علا محمود محسن محمد

كان يرقد امامي لا يقوى على النهوض يستند إلى الحائط على امل ان يستمد منه بعض القوة والصمود، ويضغط على جرحه العميق بيده، ينظر اليّ متوسلاً بعينيه الزائغة، تسيل الدماء من فمه، يجاهد ليلتقط أنفاسه، يحاول الاستغاثة يحاول قول شيئا ما ولكن حلقة يصدر زمجرة الموت، جلست بالقرب منه وتحسست شعره ووجهه الجميل باناملي ثم قلت له بهدوء:

ـ أنت من اضطرني لفعل ذلك..... والان سنكون معا دائما فقط انا وانت...

اجلس خلف مكتبي كعادتي في العمل - الذي اكرهه بشده - اطلق بأناملي فوق المكتب بضجر وذهني شارد لا افكر في شيء تحديدا، لا بل افكر به هو الذي يشغل حيزا كبيرا من حياتي بل يسيطر علي حياتي بأكملها وهو زميلي وحبيبي " تامر" والذي ايضا مازلت أعمل في ذلك المكان الحقير من أجله، ولكنه لا يشعر بي اطلاقا مهما حاولت جذب انتباهه ولكني بالطبع سأنجح يوما ما في جعله يقع في حبي فإنه إما أن يكون لي أو أن يكون لي.

اراقبه دون أن يشعر حتى بعد انتهاء العمل أراقبه حتى يصل إلى منزله ثم أراقب صفحات التواصل الاجتماعي الخاصة به لاعرف اين ذهب بعدما

تركته، أصبحت أكره الليل الذي يعوق رؤيتي لحبيبي؛ ولا استطيع الانتظار حتى أراه مجددا في اليوم التالي، بالطبع هناك تساؤل حول لماذا لا اعترف له بحبي؟! والإجابة هي أنني أخشى الهزيمة؛ طوال حياتي الفوز بأي شيء اريده، أحصل علي ما اريد سواء كان متاحا لي أم لا، ولكن هذه المرة أخشى الخسارة اخشى فقدان حبيبي، ولذلك آثرت الصبر حتى يحين الوقت المناسب لإخباره بالأمر الذي سوف يتقبله.

انتظر رؤيته بفارغ الصبر، أشعر بتوتر حتى قالت لي إحدى زميلاتي:

- رهف إن تامر يريدك

ودون أن أنتظر لأعرف السبب أسرعت وذهبت إليه وعيناي تقولان كل شيء عن شعوري تجاهه، ذهبت إلى مكتبه الذي يقع بالغرفة المجاورة ودخلت ووقفت أمامه باسمة، كان منهمكا في الأوراق التي أمامه ثم نظر لي وابتسم فشعرت انني احلق في السماء وأن الدنيا تضحك لي والسماء تضمني إليها، قال بصوته العذب:

- اريدك ان تنهي هذا العمل ومن ثمّ ترسليه إلى المدير

ومد لي يده ببعض الأوراق، لم أكن اعمل ما هو ذلك العمل ولماذا كلفني به ولكني سأوافق حتى لو كلفني بإنهاء حياتي، وبالفعل اخذت الاوراق منه وأنا

أنظر إلى عينيه بتمعن وفجأة ترك الأوراق سريعا بارتباك ونظر إلى الأوراق الباقية وقال بحزم:

ـ من الأفضل أن تبدأي الآن

في كل مرة يحرجني هكذا ويطردني خارج مكتبه ولكن لا يهم يوما ما سيعلم كم أحبه وسيحبني هو الآخر، كانت الأمور تسير على مايرام وكان " تامر" علي وشك أن يقع في حبي حتى ظهرت تلك الفتاة التي تدعى "جميلة" في حياته، فلقد انتقلت مؤخرا للعمل في شركتنا ومنذ تلك اللحظة وهي لا تترك " تامر" مطلقا؛ حيثما يذهب تذهب معه ويتقابلا كل يوم ويتبادلا أطراف الحديث طوال اليوم، كان صوت ضحكاتها العالية يتحول إلى أسهم من النيران تملأ قلبي، لا اعلم ما يعجبه بتلك الفتاة المثيرة للشفقة والتي حتى لم تُرزق من الجمال شيء ياله من ذو زوق رديء.

في يوم اجازتي قابلت صديقتي " جيداء" في احدي المطاعم لكي نتناول الطعام ونتبادل أطراف الحديث ولكنها لاحظت انني شاردة ولا استمع حتى الي ما تقوله، وبالفعل لم اكن استمع اليها بل كان ذهني بأكمله مع حبيبي الذي يقضي معظم وقته مع تلك الفتاة.

طرقت "جيداء" بأناملها فوق المنضدة لكي انتبه وبالفعل نظرت اليها في شرود فسألتني ماذا أصابني وهل انا مريضة أم لا، فتنهدت بقوة قبل أن أجيبها قائلة في غضب:

ـ لا يعيرني أي اهتمام يا جيداء وكأنه يعيش في عالم بعيدا عني، وازداد الأمر سوءا بعدما انضمت جميلة تلك الينا فأصبح لا يفارقها اينما ذهبت

مطت "جيداء" شفتيها وقالت بتفهم:

ـ حسنا فهمت!

وسألتني السؤال الذي لم أستطع الإجابة عليه قط خلال حديثي مع نفسي، قالت:

ـ هل كان يحبك؟ أو تحدث معكِ عن هذا الأمر؟!

بحثت جيدا في أعماقي ولكني لم أجد إجابة شافية فهو لا يراني من الاساس انا مجرد زميلة عمل ليس أكثر ولكنه ليس كذلك بالنسبة لي فهو يسيطر علي قلبي وعقلي ووجداني لا تمر ثانية دون أن أفكر به، لا يمر يوماً دون أن أراه في أحلامي، حتى انني اكاد اجزم اني أحيانا أراه معي بداخل منزلي، واسمع صوته واشم عطره، هو يعيش بداخلي.

عندما رأت "جيداء" شرودي واضطراب ملامحي وقد طال صمتي تنهدت وقالت:

ـ رهف حاولي نسيانه فهو لن يكون لكِ

جحظت عيناي ونظرت إليها بغضب، كيف تجرؤ أن تقول هذا؟! اقوم بنسيانه!! بعد كل ما قلته! من المحتمل أن أنسى نفسي وكل من اعرفهم في حياتي الا هو؛ فهو غير قابل للنسيان وكيف للإنسان أن ينسي قلبه أو عقله!!، انقبضت روحي عندما رددت "أنه لن يكون لكِ" اذا لن يكون لي فلمن سيكون اذا؟! هذا الاحتمال لا اقبل به فإما أن يكون لي او أن يكون لي لا احتمال ثالث لهما ولن أقبل أن يكون هناك احتمال آخر، أشعر أنه خُلق لي انا فقط وسأبذل قصاري جهدي لأحقق هذا ايا كان ما سأفعله.

عدت للعمل الذي أذهب إليه لأرى "تأمر" فقط، ولكن المكان كان مختلفا قليلا هناك شيء ما يحدث وأنا بطبيعة الحال لا أحب أن أسأل أحدا عن شيء، فوصلت إلى مكتبي بهدوء وجلست ولكني لم اكن اعلم أن هذا اليوم سيكون اسوء ايام حياتي قاطبة. وذلك حين اقتربت من مكتبي احدي زميلاتي وقالت بسرور:

ـ رهف ألن تحتفلي معنا؟

سألت بعدم فهم:

ـ احتفل! احتفل بماذا؟!

نظرت لي نظرة ذات معنى وهي تقول:

ـ تمت خطبة تامر وجميلة

وهذه الجملة كانت اخر شيء أسمعه في ذلك اليوم حتى انني لا اعلم كيف وصلت لمنزلي وماذا حدث طوال تلك المسافة، كل ما أتذكره هو نظرة الفتاة التي لا اعلم هل قتلتها ام ماذا؟ وجملتها التي وقعت على قلبي وقوع الصاعقة، اريد ان اقطع اذني حتى لا اسمع تكرار عقلي لهذه الجملة " تمت خطبة تامر وجميلة" ولكن هذا مستحيل! لم تقوي قدامي أن تحملني اكثر فارتميت علي الأرض في حديقة منزلي، وكنت اعبث في التراب بشكل غريب وكأنني اصنع حفرة ولكني لا اعلم لماذا! ولكن ما أثار دهشتي أن عيناي لم تزرف دمعة واحدة كل تلك الفترة ولكني اعلم السبب؛ مهما حدث فإن "تامر" سيكون لي لن يكون لأحد غيري، وابتسمت حينما رددت تلك الجملة في عقلي وأخذت نفسا عميقا ثم نظرت إلي الحفرة الصغيرة التي صنعتها واغمضت عيني.

تحول عملي إلى جحيم وانا ارى حبيبي كل يوم يتحدث ويداعب تلك الفتاة وعينيه تشرح كل ألوان الغرام الذي يشعر به تجاهها، اشعر انني اريد إشعال

النيران بجسدها كما تشعل هي النيران في قلبي، أنه ملكي انا فقط ولا يحق لكِ ايتها الحمقاء أن تقتربي منه.

أصبحت لا أسمع ولا اكاد اري اي شيء من حولي فقط صوت ضحكاتها التي تمثل سهام حارقة في قلبي تمزقه تمزيقا، اتخيل نفسي امتلك قوة خارقة تمكني من ابعدها عنه، ابتعدي عن من يسكن الروح والفؤاد ابتعدي عن هوائي الذي اتنفسه ابتعدي عن الرجل الذي لا أرى سواه في الوجود فإنه لي اقسم أنه لي ولن يكون لغيري.

ابتعدت عن كل من حولي؛ اصدقائي و اقاربي ولم اعد اذهب الي عملي ولكن مازال "تامر" تحت المراقبة كيف يجرؤ أن يخونني ويتنزه كل يوم مع تلك الفتاة الحقيرة كيف يجرؤ؟! ولكنني سأسامحه، أشعر باضطراب شديد لا استطيع تمالك اعصابي فكلما رأيت تلك الفتاة أريد أن اسحقها بسيارتي، فأنا لن اترك حبيبي لها.

بعد مرور عدة أسابيع أثناء تصفحي لصفحات "تامر" علي مواقع التواصل الاجتماعي قرأت خبرا كان بمثابة الضربة القاضية بالنسبة إليّ وهو " سوف اتزوج بعد يومين" ولكن ماذا؟ "تامر" سوف يتزوج فتاة غيري!! مستحيل لن يحدث إلا بعد موتي.

" تامر أنقذني! انا في مشكلة ارجوك اسرع" تلقي " تامر" تلك الرسالة من هاتفه المحمول ومرفقه بموقع انتظاري، انتظرت بجوار سيارتي وانا انظر في كافة الاتجاهات بحثا عنه ولكن هل سيأتي ليري ماذا حل بي! ام سيقوم بحذف الرسالة!! قلبي يخبرني أنه سيأتي وبالفعل توقفت سيارته بالقرب مني ونزل "تامر" مسرعا ووجهه يبدو عليه الانزعاج، اقترب مني وهو يتفحصني ثم نظر إلى السيارة وتسأل:

ـ ماذا بكِ؟ ماذا حدث؟!

شعرت بسعادة غامرة فهو يهتم لامري كثيرا، بغض النظر انني كنت أشك أنه سيأتي ولكنه اتي وصدق احساسي، كنت أنظر بتمعن لكل جزء من وجهه اريد ان احفر ملامحه بداخل مُقلتي مثلما هي محفورة بداخل قلبي ووجداني ولكنه تكراره للسؤال جعلني أخبره بكل برود ان لا يوجد شيء، نظر إلي بغضب وكاد يتكلم أو علي الأحرى كاد يسبني ولكني سريعا طعنته بالمخدر في رقبته ولم تمر لحظة حتى سقط أرضا، أنه ثقيل للغاية ولكنني استطعت بصعوبة إدخاله السيارة ثم نظرت حولي ولم يكن هناك من لاحظ ما فعلته.

كم جميل وهو نائم! ينام بهدوء كالأطفال وكأنه لم يفعل شيئا وكأنه لم ينزع قلبي من بين ضلوعي دون شفقة، بعد ساعة تقريبا بدأ يستعيد وعيه وفتح

عينيه ببطيء وفجأة نهض مسرعا ونظر إليّ في دهشة ثم نظر حوله الى بهو منزلي الواسع وقال في عصبية:

ـ اين انا؟!

ابتسمت وقلت وانا أشير إليه أن يهدأ:

ـ في بيتي ايه رأيك فيه؟! ستعيش به إلى الأبد!

لم يفهم كلامي وقبل أن ينطق قلت:

ـ انت لي يا تامر أفهمت؟! لن تأخذك فتاة غيري

استشاط غضبا وقال محذرا:

ـ انا احب جميلة وسأتزوجها وانتِ سأريكِ ماذا سأفعل بكِ

وتحرك ليرحل متحديا أوامري، الغبي سيضطرني لاستعمال الخطة باء، أسرعت واعترضت طريقه ونظرت الى عينيه بعمق ثم دون أن يراني أخرجت الشفرة الحادة من جيب سترتي ثم تحسست وجهه بيدي وفي حركة سريعة رفعت يدي اللي تحمل الشفرة الي رقبته وشققت عنقه بها؛ كما فعل هو بقلبي، جحظت عيناه ووضع يده فوق جرحه وسقط ببطء على الأرض ولكني لم اتركه وسقطت معه، حاول النهوض والاستناد إلى الحائط لكي

يغادر ولكن قدميه أبت أن تحمله وسقط مرة أخري وسط دماءه، ويضغط علي جرحه بقوة وينظر إليّ متوسلا ولكن فات الاوان يا "تامر" ضحكت بقوة وأنا أراه أمامي لا حول له ولا قوة وينازع الموت ضحكت وقلت بسرور:

ـ انت من اضطرني لفعل ذلك قلت لك انك لي وحدي ولن اتركك لغيري وها انت ذا أصبحت لي وسنعيش معا في هذا البيت الجميل وسأتحدث معك طوال اليوم أنا سعيدة جدا لاننا سنكون معا دائما فقط انا وانت ولن تتركني ابدا

همدت حركته واغمض عينيه وحينها احتضنته بقوة ولم انزعج من دماءه التي لطخت ملابسي فتلك هي المرة الأولي التي اضمه فيها إلى صدري، وظللت أحادثه واقول:

ـ والآن سأريك المكان الذي تمكث به

نهضت ونظرت إليه في حيرة أنه ضخم كيف سأحمله إلى الخارج؟! ثم خطرت لي فكرة أن أجذبه من ثيابه إلى الخارج! ولكن لن يسمح لي قلبي بذلك لن اجعله يشعر بالألم ولكن ليس هناك حل اخر وبالفعل امسكت بثيابه ونظرت إلى وجهه النائم وقلت:

ـ اسفة يا حبيبي سأنهي الأمر سريعا

جذبته ببطيء لثقل حجمه حتى وصلت إلي باب المنزل ووقفت لالتقط انفاسي ثم جذبته مرة أخري حتي وصلت إلي الحديقة ولكن جسده أصبح أثقل بكثير فتركته وزفرت بضيق ووقفت أفكر كيف امضي المسافة الباقية، فكرت قليلا ثم أمسكت بقدميه وجذبته منهما حتي وصلت الي المكان الاول الذي جلست فيه من قبل وبدأت في حفر حفرة صغيرة، ولكن الان اصبحت حفرة بحجم جسد " تامر" بالضبط ونظرت إليه وقلت:

ـ ما رأيك! سيكون هذا منزلك ومنزلي ايضا لانني لن اتركك ابدا ستصبح روحك معي دائما استشعر وجودك معي سوف احتضن طيفك وكأنه انت سوف انام فوق قبرك وكأنك تضمني الى صدرك ستكون معي حتى لو لم تكن بجسدك ولكن يكفيني أن تكون معي بروحك وطيفك

جذبته مرة أخري وألقيته برفق بداخل منزله الجديد ونظرت إلى وجهه بتمعن شديد لا حفظ كل تفاصيله اتمنى لو أستطيع وشم وجهه بداخل مقلتي، وتحسست وجهه وشعره ومسحت الدماء التي لطخت وجهه الجميل ثم نظرت بجواري الي بعض البذور وقلت ضاحكة:

ـ لقد أحضرت تلك البذور لأزرعها فوق منزلك الجديد وسأعتني بها مثلما اعتني بك وكلما تنمو سوف اشعر انك من تنمو ستكون هي أنت وستكبر

عاما بعد عام ونحن معًا.

بدأت في إلقاء التراب فوقه وعيني لم تبتعد عن وجهه لحظة، وعندما غطي التراب معظم جسده تذكرت أن اليوم هو يوم زفافي كيف نسيت ذلك! أنه يوم زفافي انا و"تامر" حبيب الروح، ولقد ابتعت بذلة أنيقة من أجل " تامر" فيجب أن يكون انيق يوم زفافه وبالفعل اسرعت واحضرتها من الداخل وعدت مسرعا ونفضت التراب من عليه ياله من مجهود مضاعف! ولكن اعتذر يا حبيبي علي النسيان.

ألبسته الثياب الجديدة وأصبح وسيما اكثر والتقطت معه بعض الصور ثم غطيته بالتراب وزرعت البذور فوقه وسقيتها ببعض الماء ثم قلت:

ـ انت الان تسمعني وتشعر بي ولن يكون أمامك اختيار للهرب منه سأتحدث معك وستسمعني وسأنام في احضانك كل يوم وهذا كل ما أريده الآن ستكون معي الى الابد ولن تضييع مني ابدا

وضحكت بسرور وأكملت:

ـ أنا سعيدة جدا واحبك للغاية

ثم استلقيت فوق منزل حبيبي الجديد واحتضنت ترابه بقوة واغمضت عيني

في نشوة انتصار وتنهدت بعمق لا اعلم كم مضى من الوقت؛ فأنا لا أشعر بالوقت بوجود حبيبي من يملك قلبي وروحي ثم أمسك بهاتفي والتقطت صورا أخري مع زوجي يالها من كلمة جميلة جدا "زوجي" سأقولها دائما وابدا، اشعر ان روحينا التقيا معا وسيبقان معا دائما.

ليلة سعيدة يا زوجي العزيز احبك جداً احلام سعيدة يا جوهرة قلبي.

« انظري يا روان ما نشرته رهف علي صفحتها الشخصية بالامس!» و مدت لها يدها بالهاتف فأخذته الأخرى وفغرت فمها وقالت:

ـ ما هذا؟!

ووضعت يدها علي فمها، وهنا دخلت فتاة أخري تمسك بهاتفها وتقول لهما بقلق:

ـ ان تامر لم يعد للمنزل منذ الأمس!

***